مجلـــة جـامـعـة الســعيد للعلـــوم الإنســـانيـــة والتطـبيقية
Al – Saeed University Journal of Humanities and Applied Sciences
journal@alsaeeduni.net
Vol (6), No(2), May, 2023 المجلد(6)، العـدد(2)، 2023م
ISSN: 2616 – 6305 (Print) ISSN: 2790-7554 (Online)

دفع مطاعن وتفنيد شبهات جمع القرآن الكريم

د/ عبدالرحمن عبدالله عثمان
أستاذ مساعد بجامعة أم القرى - مكة المكرمة

تاريخ تسليم البحث ٢٠٢٢/١١/٢٦م تاريخ قبوله للنشر ٢٠٢٣/٣/٥م
موقع المجلة: https://journal.alsaeeduni.net

دفع مطاعن وتفنيد شبهات جمع القرآن الكريم

د/ عبدالرحمن عبدالله عثمان
أستاذ مساعد بجامعة أم القرى - مكة المكرمة

الملخص

تضـمن البحث في بدايته عن أهمية جمع القرآن الكريم والحكمة من جمعه.. ثم تحدثت فيه عن أول شبهه وهي: شبه الزيادة والنقص:

حيث قمت بالرد على من قال بأن في جمع القران نقصا أو زيادة وكذلك الرد على من قال، كما تم الرد على الشُبه القائله بزيادة بعض الالفاظ الغير موجودة في القران الكريم.

كم تم الرد على الشُـــبهه التي اثاروها في الكاتب الذي كتب هذا الجم، والرد على من قال بأن القران إنما قرئ بالتشهي والرغبه وليس كما أُنزل على النبي صل الله عليه وسلم ورد مزاعمهم الباطلة التي اثاروها على أم المؤمنين عائشـة رضـي الله عنها بأن النبي صـل الله عليه وسـلم انما قرأ القران كما أُنزل عليه دون زيادة أو نقص.

كما تم الرد على أعداء الاســلام الذين زعموا بأنه عند جمع القران حصــل تقديم وتبديل وتأخير في سور القران الكريم، والصحيح أن ترتيب كتاب الله وتنظيمه لم يعتريه التبديل منذ أُنزل على رسول الله صل الله عليه وسلم وإلى قيام الساعة.

وتم الرد على شبه الخوارج الباطلة التي اثاروها على صحابة رسول الله صل الله عليه وسلم.

الكلمات المفتاحية: مطاعن، شبهات، جمع القرآن الكريم.

Paying complaints and refuting suspicions of collecting the Holy Qur'an

Dr. Abdul Rahman Abdullah Othman Ahmed
A collaborating teacher at Umm Al-Qura University
in Makkah Al-Mukarramah

Abstract

At its beginning, the research included the importance of collecting the Holy Qur'an and the wisdom of collecting it.

Then I talked about the first of its similarities, which is: the similarity of excess and deficiency:

Where I responded to those who said that in the compilation of the Qur'an there is a deficiency or an addition, as well as the response to those who said, as well as the response to the suspicion that the addition of some words that are not found in the Holy Qur'an have been answered.

How many answers have been given to the suspicions they raised about the writer who wrote this collection? And the response to those who said that the Qur'an was read with desire and desire, and not as it was revealed to the Prophet, may God bless him and grant him peace, and counter their false claims that they raised against the Mother of the Believers, Aisha, may God be pleased with her, that the Prophet, may God bless him and grant him peace, only read the Qur'an as it was revealed to him without addition or omission.

The enemies of Islam were also answered, who claimed that when the Qur'an was compiled, an introduction, alteration, and delay occurred in the chapters of the Holy Qur'an.

The false quasi-Khawarij that they raised against the Companions of the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, were answered.
Keywords: slander, suspicions, collection of the Holy Quran.

المقدمة

أَحمدُ الله رَب العالمين، وأصلي وأسلم على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة المهديين، صلاة وسلاما دائمين متلازمين إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن القرآن الكريم كلام الله تعالى، المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام، وقد نزل منجماً مفرقا، منقولاً إلينا بالتواتر، برهاناً معجزاً على صدق رسالة الإسلام.

وقد تكفل الله –عز وجل– بحفظة دون غيره من سائر خلقه، ودون غيره من الكتب السماوية السابقة، فوصل إلينا خالياً –تماماً– من التحريف والتغيير والتبديل الذي لحق بغيره من الكتب السماوية السابقة عليه.

وقد أكد القرآن الكريم أن الكتب السابقة قد أصابها التحريف والتغيير والتبديل بأيدي القائمين عليها من ذلك قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[1] ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[2]، والتحريف الذى أحدثوه كان في لفظه بالتقديم والتأخير، والحذف والزيادة والنقصان، يفعلون ذلك ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[3]، كما كان في معانيه، بسوء التأويل وحمل الألفاظ على غير ما وضعت له، والتحايل لتبديل المعانى، من جهة اشتباه الألفاظ واشتراكها وتشعب التأويلات فيها، فكانوا يتلقون الآيات وهم غير واعين لما يتلى عليهم: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[4] فوقع التحريف بالكتاب لفظاً ومعنى فصار مسخاً لا رواء فيه ولا روح.

وكان مقصد اليهود من هذا التحريف هو عرض الحياة الدنيا ليشتروا به ثمناً قليلاً فقد كانت اليهود تعطي أحبارها بعض أموالهم على ما كانوا يضعونه لهم، مما ينصرون به اليهودية، وكانوا يؤثرون تكذيب النبي ليأخذوا الرشا على ذلك وتحصل لهم الرياسة في الدنيا[5].

وقد ذكر القرآن أنهم محاسبون على فعلهم هذا بأن أعد الله لهم وادياً في جهنم خاصاً بهم في قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[6] والذي دعاهم إلى ذلك "فرط جرأتهم على الله ويأسهم من الآخرة"[7]. فخضعوا للهوى خضوعاً أمالهم عن الحق وزين لهم تحريف الكتاب.

---

(١) الآية (١٣) سورة المائدة.
(٢) الآية (٤٦) سورة النساء.
(٣) الآية (٧٨) سورة آل عمران.
(٤) الآية (٤٦) سورة النساء.
(٥) مفاتيح الغيب للرازى ١١٥/١٠، ط عبد الرحمن محمد.
(٦) الآية (٧٩) سورة البقرة.
(٧) البحر المحيط ٥٠٣/٢.

ولعل الذي أوجد ذلك التحريف في تلك الكتب هو: "أن الله لم يتكفل بحفظها، وإنما أوكل حفظها إلى الربانيين والأحبار ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾"(١).

ويقول المولى عز وجل في كتابه الكريم مخاطبا رسوله الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾(٢).

ومنه يعلم أن جمع القرآن الكريم قد تكفل به المولى سبحانه وتعالى بما يضمن سلامة الوحي المنزل. فقيض الله له من قام بحفظه وجمعه طبقا لمنهج فريد لم يتيسر لغير القرآن من النصوص الأخرى، والتي قد تعرضت للتحريف والتغيير والتبديل على أيدي القائمين عليها. إلا أن بعض المغرضين والمشككين قد طعنوا في سلامة هذا الجمع وصحته فألحقوا به كثيرا من الشبه والطعون. ومن هنا رأيت من واجب الحق أن أدفع بعض هذه الطعون وأناقشها مناقشة علمية موضوعية في ضوء ما أورده علماؤنا الأجلاء من نصوص، وذلك طبقا لمعطيات المنهج التحليلي والذي يقوم أساسا على عرض الشبهة كما أوردها أصحابها، ثم دحضها وتفنيدها، وبيان وجه الحق فيها، وفق المنهج العلمي المتجرد المحايد، بغية الوصول إلى الحق والصواب.

واقتضت طبيعة البحث أن يأتي في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، ثم فهارس متنوعة:

ففي المقدمة: تناولت أهمية الموضوع، ومنهج البحث فيه، وخطته.

والتمهيد وفيه: مدخل حول جمع القرآن الكريم في العهدين (البكري، والعثماني).

والمبحث الأول: شبه الزيادة في جمع القرآن والنقص منه.

والمبحث الثاني: الشبه حول الصحابة الذين جمعوا القرآن.

والمبحث الثالث: جمع القرآن حسب الرغبة والتشهي.

والمبحث الرابع: الشبه المتعلقة بعدد سور القرآن وترتيبها.

وفي **الخاتمة** نتائج البحث وتوصياته ثم فهارسه.

والله ولي التوفيق..

(١) الآية (٤٤) سورة المائدة.
(٢) الآيات: ١٦، ١٧، ١٨ من سورة القيامة.

تمهيد: جمع القرآن الكريم في العهدين البكري والعثماني

مدخـل:

إن الكتب المنزلة السـابقة على الأنبياء عليهم السـلام جيء بها على التوقيت لا على التأبيد، "وأن القرآن جيء به مصـدقاً لما بين يديه من الكتب، ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته وكان ساداً مسدها ولم يكن شيئاً منها ليسد مسده"(١).

وقد سلم القرآن من كل شيء من هذا القبيل بفضل تكفل المولى- عز وجل- بحفظه فلم تنقطع أسانيده في أي وقت وإلى أن تقوم الساعة حيث قيض الله له من بحث في كل شيء فيه فقد درس القرآن من كل جوانبه، ففرصة العبث به مفقودة، وطريق التحريف فيه مسدودة.

ولكن ما برح أعداء الإسلام يكيدون له، يحاولون إطفاء نوره، وتشويه صورته ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾(٢).

يقول ابن قتيبة "وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾(٣) بأفهام كليلة وأبصار عليلة، ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة، واللحن، وفساد النظم والاختلاف وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمر، والحدث الغر، واعترضت بالشبه في القلوب، وقدحت بالشكوك في الصدور"(٤).

هذا وقد حاكت نابتة السوء هذه بخيوط العنكبوت بيوتاً من الشبه والظنون فجاءت شيئاً إدا، تتهاوى كلها أمام ما ورد بالنقل الصحيح المتواتر المعتمد أساساً من أسس نقل القرآن الكريم.

وقد تعددت تلك الشبه فمنها ما هو مختص بإيراد الشبه في طريقة نزوله وجمعه، ومنها ما هو متعلق بطريقة جمعه وحفظه ونقله، ومنها ما يتعلق بادعاء وقوع التناقض بين آياته المحكمة.

ومن تلك الشبه ما حاكوه حول: جمع القرآن الكريم.

جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنهما

جمع القرآن على عهد سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه بواسطة لجنة من الصحابة بلغوا الغاية في الدقة والتحري واتُّبِعَ في هذا الجمع منهج دقيق حريص متحرج أعان على وقاية القرآن من كل ما لحق بالنصوص الأخرى من مظنة الوضع والانتحال وعوامل النسيان والضياع وقام على ما يلي(٥):

(١) النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، ٨-٩
(٢) من الآية (٣٢) سورة التوبة.
(٣) الآية (٧) سورة آل عمران.
(٤) في: تأويل مشكل القرآن ٢٢-٢٣.
(٥) ينظر: الجمع الصوتي: ٣٧.

– قام عمر بن الخطاب فقال: من كان تلقَّى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأت به[١]، وكان ذلك بالأحرف السبعة.

– كانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب[٢].

– كانوا لا يقبلون من أحد شيئاً حتى يُشْهِد شهيدين[٣]. وفيه دلالة على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً، حتى يشهد به من تلقاه سماعاً، مع كونه يحفظه، إلا أنه كان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط[٤].

– وكان لا يكتب إلا ما كان من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ، مع المبالغة في الاستظهار والوقوف عند هذا[٥].

– وما ثبت أنه عرض على النبي صلى الله عليه وسلم عام وفاته، دون ما كان مأذوناً فيه قبلها[٦].

– وما ثبت أنه من الوجوه التي نزل بها القرآن[٧].

– وكانت كتابة الآيات والسور على الترتيب والضبط الَّذَيْنِ تلقاهما المسلمون عن رسول الله[٨] صلى الله عليه وسلم.

والتزم المسلمون بتلك القواعد وتم الجمع القرآني في العهد البكري، وحظي عمل سيدنا أبي بكر برضى المسلمين جميعاً: أخرج ابن أبي داود في: المصاحف بسند حسن عن عبد خير قال: "سمعت عليا يقول: أعظم النا س في المصاحف أجراً: أبو بكر، رحمة الله على أبى بكر! هو أول من جمع بين اللوحين"[٩].

والحق أن لهذا الجمع فضلاً كبيراً فقد تدارك – في وقت مبكر – كل الأصول التي كتب فيها القرآن وأفاد منها قبل أن يتفرق منها شيء، أو يضيع، أو تعدو عليه عوامل البِلَى[١٠].

ولما توفى الصديق رضي الله عنه وقام بالأمر بعده سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قرَّ الأمر قراره على ما ترك الصديق ثم لما انتقل وتولى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه أشير عليه بجمع القرآن[١١]. بسبب "تنازع أهل الشام وأهل العراق في القرآن: أهل الشام يقرءون بقراءة أُبَيٌّ

(١) ينظر: تاريخ عمر: ابن الجوزى: ١٢٩، لطائف الإشارات: القسطلاني ٥٥/١.
(٢) ينظر: فتح الباري ١١/٩، لطائف الإشارات ٥٥/١، ابن الجوزي: تاريخ عمر: ١٢٩.
(٣) قال ابن حجر: وكان المراد بالشاهدين: الحفظ والكتاب: ١١/٩.
(٤) ينظر: لطائف الإشارات: القسطلاني ٥٦/١، الإتقان: للسيوطي ٧٧/١.
(٥) فتح الباري ١٢/٩، الجمع الصوتي: د/ لبيب السعيد: ٣٧.
(٦) الإتقان ٧٧/١، السابق.
(٧) الإتقان للسيوطي ٩٦/١، لطائف الإشارات ١٥٦/١.
(٨) ينظر: فتح الباري: ١٢/٩، الجمع الصوتي. د/ لبيب السعيد: ٣٧.
(٩) ينظر: كتاب المصاحف: ابن أبى داود السجستاني: ٥.
(١٠) ينظر: الجمع الصوتي الأول: د/ لبيب السعيد: ٣٩.
(١١) ينظر: لطائف الإشارات: للقسطلاني ٥٧/١.

بن كعب، فيأتون بما لم يسمع أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فيكفر بعضهم بعضاً"(١).

حدث ذلك في سنة خمس وعشرين من الهجرة عام فتح أرمينية وكان فيها حذيفة بن اليمان رضي الله عنه فرأى ناساً من أهل حمص يزعمون أن قراءتهم خير من قراءة غيرهم، وأنهم أخذوا القرآن عن المقداد، ورأى أهل البصرة يقولون مثل ذلك، وأنهم قرؤوا على أبى موسى ويسمون مصحفه "لباب القلوب"(٢)، وغضب حذيفة لِما سمع واحمرّت عيناه فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: هكذا من كان قبلكم، اختلفوا! والله لأركبن إلى أمير المؤمنين، وجاء مفزعاً إلى المدينة، ولم يدخل بيته حتى أتى سيدنا عثمان فقال له: يا أمير المؤمنين! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى!(٣)، أو قال: أنا النذير العريان! فأدركوا الأمة!(٤).

وكأن عناية الله لاحظت الأمة فقد وقع أمام سيدنا عثمان قريب من ذلك حيث: "كان المعلم يعلم قراءة الرجل، والمعلم يعلم قراءة الرجل، فجعل الغلمان يتلقونه فيختلفون، حتى كفر بعضهم بعضاً، فبلغ ذلك سيدنا عثمان فتعاظم في نفسه، فقال: أنتم عندي تختلفون؟ فمن نأى عني من الأمصار أشد اختلافاً"(٥).

وهكذا لما جاء حذيفة وأخبره تحقق عنده ما ظنه من ذلك فما كان منه رضي الله عنه إلا أن جمع أصحابه واستشارهم قائلاً: ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول: إن قراءتي خير من قراءتك، وهذا يكاد أن يكون كفراً؟ قال الصحابة: فما ترى؟ قال: أرى أن نجمع الناس على مصحف واحد فلا تكون فرقة ولا اختلاف، قال الصحابة: فَنِعمَ ما رأيت(٦).

وما إن أقر الصحابة سيدنا عثمان على ذلك ورضوا فعله حتى أرسل إلى –سيدتنا– السيدة حفصة بنت عمر أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف(٧)، فأرسلت بها إليه فأمر زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد ابن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف(٨)، وقال سيدنا عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم(٩)، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد

(١) ينظر: فتح الباري: لابن حجر ١٤/٩.
(٢) ينظر: الكامل في التاريخ: لابن الأثير ٨٥/٣-٨٦.
(٣) ينظر: فتح الباري: لابن حجر العسقلاني ١٤/٩-١٥.
(٤) ينظر: الكامل في التاريخ: لابن الأثير ٨٦/٣، الإتقان للسيوطي: ٧٨/١.
(٥) فتح الباري ١٤/٩، الإتقان ٧٩/١.
(٦) ينظر: فتح الباري: ١٥/٩، الإتقان ٧٩/١.
(٧) ينظر: فتح الباري: ١٥/٩، لطائف الإشارات: للقسطلاني ٥٧/١.
(٨) ينظر: النشر: لابن الجزري ٧/١، لطائف الإشارات ٥٧/١
(٩) ينظر: فتح الباري ١٦/٩، لطائف الإشارات: ٥٨/١، الجمع الصوتي: د/لبيب السعيد: ٤٨، المقنع للداني: ١٦.

سيدنا عثمان الصحف إلى السيدة حفصة رضي الله عنها، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(١).

واختلف في عدة المصاحف التي أرسل بها سيدنا عثمان إلى الآفاق، فالمشهور أنها خمسة، وقيل سبعة: إلى مكة، وإلى الشام، واليمن، والبحرين، والبصرة، والكوفة، وحبس بالمدينة واحد، وأحرق ما سوى ذلك(٢).

وكانت كتابتهم هذه المصاحف بإجماع منهم، على اللفظ الذى استقر في العرضة الأخيرة، التي قرأ بها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على سيدنا جبريل عليه السلام عام قبض، وعلى ما صح مستفاضاً عنه عليه الصلاة والسلام، دون غيره، قطعاً لمادة الخلاف، وجردوا كتابتها من النقط والشكل ليحتمل ما صح نقله وثبتت تلاوته، إذ كان الاعتماد على الحفظ، لا على مجرد الخط، فقرأ أهل كل مصر بما في مصحفهم، وأخذوا ما فيه عن الصحابة، الذين أخذوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم(٣).

ولم يكن قصد سيدنا عثمان من هذا الجمع أن يجمع القرآن بين لوحين كما فعل سيدنا أبو بكر رضي الله عنهما "وإنما قصد جمعهم على القراءات الثابتة المعروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلغاء ما ليس كذلك، وأخذهم بمصحف لا تقديم فيه ولا تأخير، ولا تأويل أثبت مع تنزيل، ولا منسوخ تلاوته كتب مع مثبت رسمه، ومفروض قراءته وحفظه، خشية دخول الفساد والشبهة على من يأتي بعد"(٤).

ولم يسلم هذا المنهج الدقيق من طعن الطاعنين وسهام الحاقدين فصوبوها إليه بشبه أصلوها، وطعون اخترعوها.. ولكن هيهات!!!

ومن تلك الشبه ما زعموه من أن في القرآن الكريم زيادة ونقصا:

(١) ينظر: لطائف الإشارات ٥٨/١، المقنع للداني: ١٨.
(٢) ينظر: لطائف الإشارات ٦٣/١-٦٤، وينظر: المقنع: للداني ١٩.
(٣) ينظر: المقنع: للداني ١٦-١٨، لطائف الإشارات للقسطلاني ٦٤/١.
(٤) ينظر: البرهان للزركشي ٢٣٥/١-٢٣٦، الإتقان: ٦٠/١.

المبحث الأول: شبه الزيادة في جمع القرآن والنقص منه:

من تلك الطعون والشبه ما أثاروه من أن في القرآن الكريم **زيادة ونقصاً** فمن **أوجه النقص** ما يلي:

أ- نسبوا إلى سيدنا عبد الله بن مسعود أنه: **أسقط الفاتحة من مصحفه، وكذا المعوذتين.** ولذا كان عدد سور القرآن عنده مائة واثنتا عشرة سورة[١]، فقد صح عنه أنه كان يحك المعوذتين من المصاحف ويقول: ليستا من كتاب الله[٢]، وإنما أمر النبي صلي الله عليه وسلم أن يتعوذ بهما ولذا عوذ بهما الحسن والحسين[٣].

وقد ذكر هذه الشبهة المستشرق نولدكه، حيث عدّ إسقاط ابن مسعود لهذه السور الثلاث من أوجه الطعن في نقل القرآن الكريم[٤].

وفي ذا من الشبه ما لا يخفى؛ إذ فيه صراحة وجود النقص في القرآن الكريم، وليس بسديد من وجوه كثيرة:

أولاً: فيما يتعلق بفاتحة الكتاب:

يقول ابن قتيبة: إن ذلك "ليس لظن ابن مسعود أن الفاتحة ليست من القرآن، معاذ الله! ولكنه ذهب إلى أن القرآن إنما كتب وجمع بين اللوحين مخافة الشك والنسيان، والزيادة والنقصان، ورأى أن ذلك مأمون في سورة الحمد لقصرها ووجوب تعلمها على كل أحد"[٥] وأنه لا تصح الصلاة بدونها ففي الحديث (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)[٦] يؤكده ما ورد مروياً عن أبي بكر الأنباري: "حدثنا الحسن بن الحباب، حدثنا سليمان بن الأشعث، حدثنا بن أبي قدامة، حدثنا جرير، عن الأعمش، قال: أظنه عن إبراهيم، قال: قيل لعبد الله بن مسعود: لم لم تكتب فاتحة الكتاب في مصحفك؟ قال: لو كتبتها لكتبتها مع كل سورة، قال أبو بكر: يعنى أن كل ركعة سبيلها أن تفتتح بأم القرآن قبل السورة المتلوة بعدها فقال اختصرت بإسقاطها، ووثقت بحفظ المسلمين لها، ولم أثبتها في موضع فيلزمني أن أكتبها مع كل سورة إذ كانت تتقدمها في الصلاة"[٧].

ويذهب النووي فيما نقل عنه إلى إجماع المسلمين على قرآنية الفاتحة وأنها من القرآن وأن ما نقل عن ابن مسعود فيها باطل غير صحيح[٨].

(١) ينظر: الإتقان للسيوطي ٦٥/١، ٧٩، ٨٢، ٨٦..
(٢) ينظر: فتح الباري: ٧٤٢/٨، الإتقان: ٨٢/١، وراجع: روح المعاني للألوسي: ٤٦/١-٤٧.
(٣) فتح الباري: ٤٧٢/٨، روح المعاني: ٤٧/١.
(٤) في كتابه تاريخ القرآن: ٢٧٤.
(٥) تأويل مشكل القرآن له: ٨٠ بتصرف.
(٦) عن عبادة بن الصامت: مسند أبى عوانة ١٢٥/٢.
(٧) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ١١٤/١ بتصرف.
(٨) شرح صحيح مسلم ١٠٨/٢-١١٠.

ثانياً: فيما يتعلق بالمعوذتين:

وأنهما ليستا من كتاب الله وإنما هما رقية يتعوذ بهما فقد ذهب النووي وابن حزم إلى أن هذا كذب صراح على ابن مسعود فقد "أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة، وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئاً منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود – في الفاتحة والمعوذتين– باطل وليس بصح"(١).

ويحتمل على صحة هذه الرواية اعتقاده أنه (لا يلزمه كتب كل القرآن –فتركهما– وكتب ما سواهما وتركهما لشهرتهما عنده، وعند الناس)(٢).

ويؤكد ذلك ابن حزم بقوله: "كل ما روي عن ابن مسعود من أن المعوذتين وأم القرآن لم تكن في مصحفه فكذب موضوع لا يصح؛ وإنما صحت عنه قراءة عاصم عن زر بن حبيش عن ابن مسعود وفيها أم القرآن والمعوذتين"(٣).

ومما يؤكد القول بالبطلان "أن ابن مسعود لو كان قد أنكر المعوذتين على ما ادعوا: لكانت الصحابة، تناظره على ذلك، وكان يظهر وينتشر فقد تناظروا في أقل من هذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف، فكيف يقدح بمثل هذه الحكايات الشاذة المولدة بالإجماع المتقرر والاتفاق المعروف؟ ويجوز أن يكون الناقل أشبه عليه، لأنه خالف في النظم والترتيب، فلم يثبتهما في آخر القرآن والاختلاف –بينهم– في موضع الإثبات غير الكلام في الأصل"(٤).

هذا وقد ثبت بالأسانيد الصحاح أن قراءة عاصم وحمزة والكسائي وخلف كلها تنتهي إلى ابن مسعود، وفى هذه القراءات: المعوذتان والفاتحة جزء من القرآن وداخل فيه، فنسبة إنكار كونها من القرآن إليه غلط فاحش ومن أسند الإنكار إلى ابن مسعود فلا يعبأ بسنده عند معارضة هذه الأسانيد الصحيحة بالإجماع(٥).

فظهر بهذا أن نسبة الإنكار إلى ابن مسعود باطلة، ولعل خلو مصحفه منها أنها كانت من أوراده رضي الله عنه فاكتفى بالحفظ من الكتابة، أو كان مكتوباً عنده في قرطاس مفرد فاستغنى عن الكتابة في المصحف(٦).

إلا أن دعاة التشكيك والتشتت يتلقفون ذلك بحقد دفين فلا جرم أن تثار تلك الشبه تحت غلال وستار ما يسمى بالبحث العلمي وهو منهم براء.

(١) السابق وينظر: الإتقان ٧٩/١.
(٢) شرح صحيح مسلم: ٢١٠٨-١١٠.
(٣) المحلى بالآثار: ١/ ٣٢.
(٤) إعجاز القرآن للباقلاني ٢٠/ ١٩٤ هامش الإتقان للسيوطي.
(٥) راجع أسانيد القراء العشرة في الكتب المعتمدة في ذلك وقارن بـ: الجمع الصوتي. د/ لبيب ٣٤١.
(٦) السابق.

ب- ومن **أوجه الزيادة** ما نسب إلى أن مصحف أُبَيُ بن كعب يشتمل على سورتي: **الحفد والخلع** وعليه فإن عدد سور القرآن عنده مائه وست عشرة سورة ففي الإتقان: "كتب أُبَيُ بن كعب في مصحفه فاتحة الكتاب والمعوذتين واللهم إنا نستعينك، واللهم إياك نعبد"(١).

وفيه أيضا: "أخرج محمد بن نصر المروزي في كتاب الصلاة عن أبَي بن كعب أنه كان يقنت بالسورتين: اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ونثنى عليك ولا نكفرك، نخلع ونترك من يفجرك، اللهم إياك نعبد ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك إن عذابك الجد بالكفار ملحق"(٢).

وفيه أيضا: "وأخرج الطبراني(٣) بسند صحيح. عن أبي إسحاق قال: أمَنَا أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بخراسان، فقرأ بهاتين السورتين. وكذا أخرج البيهقي(٤) وأبو داود في المراسيل(٥) عن خالد بن أبي عمران: أن جبريل نزل بذلك على النبي صلى الله عليه وسلم"(٦).

هذه الروايات وغيرها تحمل في طياتها خطراً جسيماً وشراً مستطيراً إن لم تفهم تلك النصوص على حقيقتها فالأمر أمر شرع وعقيدة وكتاب مقدس منزه عن الزيادة والنقص.

فمما لا شك فيه "أنه لا يخفى على العربي القرآن من غيره ثم إن الصحابة كانوا أغير على كتاب الله، وعدد السور عندهم محفوظ مضبوط، فالزيادة أو النقصان في ذلك العدد مكشوف ولافت لوضوحه، وربما أن هذه الزيادات كانت مكتوبة في مصحف أبى للقنوت فقط -كدعاء- كما يكتب أحدنا بعض الأدعية في آخر ما معه من صحف وكتب، ولو كان الأمر أمر حروف معدودة يقع فيها الغلط أو النسيان لجاز أن يكون شيئا عاديا يقع مثله للحفاظ أما أن يكون الغلط في سورتين فهو مما لا يمكن تجويزه لأنه غير طبيعي"(٧).

جـ- ومن **أمثلة الزيادة** أيضا ما ذكره أبو حيَّان في البحر من أن ابن مسعود، وابن عباس وابن الزبير قرؤوا قوله تعالى ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾(٨)، بزيادة "**في مواسم الحج**". ويعلق أبو حيان على ذلك بقوله: "والأولى جعل هذا تفسيراً لأنه مخالف لسور المصحف الذي أجمعت عليه الأمة"(٩).

---

(١) الإتقان ١/ ٨٦- ٨٧.
(٢) الإتقان ١/ ٨٧، روح المعاني للألوس ١/ ٤٦.
(٣) المعجم الكبير للطبراني: ١/ ٢٩٢، رقم ٨٦٠.
(٤) السنن الكبرى، للبيهقي: ٢/ ٢١٠.
(٥) المراسيل: ١١٨، رقم ٨٩.
(٦) الإتقان ١/ ٨٧.
(٧) إعجاز القرآن للباقلاني على هامش الإتقان ٢/ ١٩٣- ١٩٤ بتصرف.
(٨) (البقرة: ١٩٨)
(٩) البحر المحيط ٢/ ٩٤.

هذا وقد روى عن سيدنا عبد الله بن مسعود كثيراً من تلك الروايات الملفقة التي لا تعتمد على رواية مقبولة أو صحيحة مما لم يثبت عند أهل النقل، "وما ثبت منها مخالفا للصواب فمحمول على أنه كان يكتب- في مصحفه بعض الأحكام والتفاسير، مما يعتقد أنه ليس بقرآن، وكان لا يعتقد تحريم ذلك وكان يراه كصحيفة يثبت فيها ما يشاء. وكان رأى سيدنا عثمان والجماعة منع ذلك لئلا يطول الزمان ويظن ذلك قرآناً"(١).

على أن كثيراً من العلماء قد عدوا تلك القراءة من القراءات التفسيرية.

هذا هو القول الصواب فيما نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه، وموقفه من هذه السور الثلاث.

يقول الآمدي في الإحكام: "فلو قلنا إن ما نقله ابن مسعود قرآن لزم ارتكاب من عداه من الصحابة للحرام بالسكوت، ولو قلنا إنه ليس بقرآن لم يلزم منه ذلك، لا بالنسبة إلى الراوي، ولا بالنسبة إلى من عداه من الساكتين، وبتقدير ارتكاب ابن مسعود للحرام مع كونه واحد، أولى من ارتكاب الجماعة له، وعلى هذا فقد بطل قولهم بظهور صدقه فيما نقله من غير معارض"(٢).

د- ومن أمثلة ذلك أيضا ما روى من أنه "قيل لزيد: يا أبا سعيد! أوهمت؟ إنما هي: ثمانية أزواج من الضأن اثنين **اثنين**، ومن المعز اثنين **اثنين**، ومن الإبل اثنين **اثنين**، فقال لأن الله يقول : ﴿جَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾(٣)، فهما زوجان كل واحد منهما زوج: الذكر زوج والأنثى زوج(٤)".

فحوى ذلك أنه اعتراض على كتابه سيدنا زيد بن ثابت لقوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾(٥). إذ كان عليه أن يكتب (اثنين اثنين).

ولعل منشأ هذا الاعتراض هو الجهل بقواعد اللغة وسننها ومفرداتها فكل فرد عند العرب يحتاج إلى آخر يسمى زوجاً فيقال للذكر زوج وللأنثى زوج ويقع لفظ الزوج للواحد والاثنين، يقال: هما زوجان، وهما زوج وتقول: اشتريت زوجي حمام وأنت تعني ذكراً وأنثى.

ففي البحر: "والزوج ما كان مع آخر من جنسه، وهما زوجان... فإن كان وحده فهو فرد، ويعنى باثنين ذكراً وأنثى أي: كبشا ونعجة، وتبساً وعنزة"(٦).

(١) ينظر: شرح صحيح مسلم ١٠٨/٦-١١٠.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدى ٢٣٢/١-٢٣٣.
(٣) الآية (٣٩) سورة القيامة.
(٤) الإتقان للسيوطي ١٨٥/١.
(٥) الجمع الصوتي د/ لبيب السعيد: ٣٣١.
(٦) البحر المحيط: ٢٣٩/٤.

وفى روح البيان: "والزوج هو ما معه آخر من جنسية يزاوجه ويحصل منهما النسل، فالاثنان المصطحبان يقال لهما زوجان لا زوج، فعلى هذا يقال مقراضان ومقصان، ولا مقراض ومقص لأنهما اثنان"(١).

وهذا مما يؤكد ويقوي حجة سيدنا زيد بن ثابت – رضي الله عنه – في صحة ما كتبه "وبيان وجه ما كتبه وقرأه سماعاً وأخذاً عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تصرفا وتشهياً من تلقاء نفسه"(٢).

يقول الدكتور/ لبيب السعيد: "والمعترض على زيد أشكلت عليه كلمة (أزواج) فهو فهمها على أن مفردها، وهو زوج يعني –في الآية– فردين لا فردًا واحداً، أي: أن الآية بحسب فهم المعترض تعني ثمانية أشفاعٍ (جمع شفع) من الضأن اثنين اثنين، أي أربعة... وهكذا من الإبل وهكذا من البقر فتصير منها جميعاً ثمانية أشفاع بستة عشر فرداً ولا هكذا –فيما هو واضح جداً– مراد الآية.

والآن ألا يحق لنا علمياً – تلقاء هذا الاعتراض المجهول النسب والذي يغضي عن معرفة لغوية سهلة وجهيرة ليفضي إلى إساءة دينية وتاريخية خطيرة، وهي التغيير من المعاني الصريحة في التنزيل ورمي جامعيه بالنسيان والتضليل –ألا يحق لنا أن ننكر نسبة هذا الاعتراض إلى مسلم عربي عاصر جامعي القرآن، وأن نعزوه –وبحق– إلى بعض خصوم الإسلام ممن واجهوا كتابه بالعداوة وأيضاً بالغباوة"(٣).

وهذا مما يؤكد أن خصوم الإسلام هم الذين يدسون السم في العسل ليصطادوا في الماء العكر، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾.

ومن ذلك أيضاً ما نقله الآلوسي من زعم الشيعة: "أن عثمان، بل أبا بكر وعمر، أيضاً حرفوه وأسقطوا كثيراً من آياته وسوره، فقد روى الكليني –منهم– عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله، أن القرآن الذي جاء به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم **سبعة عشر ألف آية**. وروى محمد بن نصر عنه أنه قال كان في ﴿لَمۡ يَكُنِ﴾ اسم سبعين رجلا من قريش بأسمائهم وأسماء آبائهم، وروى عن سالم بن سليمة، قال: –قرأ رجل– على ابن عبد الله –وأنا أسمعه– حروفاً من القرآن ليس ما يقرؤها الناس فقال أبو عبد الله: معه عن هذه القراءات واقرأ كما يقرأ الناس حتى يقوم القائم فإذا قام القائم فاقرأ كتاب الله على حده. وروى عن محمد بن جهم الهلالي وغيره عن أبى عبد الله أن ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٖۚ﴾(٤)، ليس من كلام الله بل محرف عن موضعه والمنزل **(أئمة هي أزكى من أئمتكم)**"(٥).

(١) روح البيان: لإسماعيل حقى: ٦٨٧/١.
(٢) مناهل العرفان للزرقاني: ٣٨٩.
(٣) بتصرف من: الجمع الصوتي د/ لبيب السعيد: ٣٣٣.
(٤) الآية (٩٢) سورة النحل.
(٥) روح المعاني للآلوسي ٢٤/١-٢٥.

وذكر ابن شهراشب المازندراني في كتاب المثالب له أن سورة –تسمى بـــ– **الولاية** سقطت بتمامها، وكذا أكثر **سورة الأحزاب** فإنها كانت مثل **سورة الأنعام** فأسقطوا منها **فضائل أهل البيت**. وكذا أسقطوا لفظ **(ويلك)** من قبل ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[1] و**(عن ولاية على)** من بعد ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾[2] و**(يعلى بن أبى طالب)** من بعد ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَ﴾[3]، و**(وآل محمد)** من بعد ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾[4] إلى غير ذلك فالقرآن الذى بأيدي المسلمين اليوم أشد تحريفاً –عند هؤلاء– من التوراة والإنجيل[5].

ومن ذلك أيضاً ما أخرجه أحمد عن أُبي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أمرني أن أقرأ عليك فقرأ على ﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾[6].

إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية، ومن يفعل ذلك فلن يكفره، وفى رواية "ومن يعمل صالحاً فلن يكفره وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة، إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وفارقوا الكتاب لما جاءهم أولئك عند الله شر البرية، ما كان الناس إلا أمة واحدة ثم أرسل الله النبيين مبشرين ومنذرين يأمرون الناس يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويعبدون الله وحده أولئك عند الله خير البرية، جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه، وفى رواية الحاكم "فقرأ فيها ولو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه يسال ثانياً ولو سأل ثانياً فأعطيه يسأل ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب"[7].

يقول الدكتور/ لبيب السعيد[8]: "ولعله واضح جداً أن هذه ادعاءات باطلة ضعيفة التأليف اختلق أغلبها دعاة الشيعة، وما كان إسقاط شيء من القرآن ليقع من مسلم، فضلاً عن أن يقع من ثلاثة هم من أشد المسلمين إيماناً، وأغيرهم على القرآن وأحفظهم له. والتغيير في القرآن جريمة (تخرج من الإسلام فاعلها) فكيف يقدم عليها هؤلاء الثلاثة وهم من هم على أنه من الثابت أن المسلمين – في جميع أيامهم– أولوا القرآن أصدق عناية، وأشد ضبط فكيف سكتوا عن هذا الإسقاط؟ هذا فضلاً على أن المسلمين –على مدى القرون– كتبوا ألوف الألوف من المصاحف، وزودوا بها المساجد، ودور العلم في مختلف البقاع، فلم يذكر أن مصحفاً منها زاد أو نقص عن المصحف الذي أجمع عليه المسلمون. اللهم إن هذا لهو الضلال بن السبهلل".

---

(١) الآية (٤٠) سورة التوبة.
(٢) الآية (٢٤) سورة الصافات.
(٣) الآية (٢٥) سورة الأحزاب.
(٤) الآية (١٢٧) سورة الشعراء.
(٥) راجع: روح المعاني للآلوسي ١/٤٣-٤٥.
(٦) سورة البينة الآية (١).
(٧) روح المعاني: ١/٤٣-٤٥.
(٨) في: الجمع الصوتي: ٣٥٠-٣٥١.

المبحث الثاني: الشبه حول الصحابة الذين جمعوا القرآن.

ومن الشبه التي أثاروها أيضاً ما يرجع إلى **الكاتب الذي كتب هذا الجمع** ومن ذلك:

أ- يقول أبو عمرو الداني في المقنع: ".... فإن قيل فما تأويل الخبر الذى رويتموه -أيضاً- عن أبي معاوية عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سأل عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن عن قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾[1]، وعن ﴿ٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[2]، وعن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ﴾[3]، فقالت: يا ابن أختي هذا من **عمل الكتاب، الكتبة أخطأوا في الكتاب**"[4].

هذه الرواية المنسوبة إلى السيدة عائشة غير صحيحة من وجوه:

أولاها: أن راوي هذا هو أبو معاوية الضرير وقد شهد علماء الحديث أن في أقواله أحاديث مضطربة وأنه ربما دلس وأنه كان مرجئياً خبيثاً[5].

وثانيها: أن تخطئه الرسم في قوله: "والمقيمين الصلاة" خطأ في أصله لأن اللغة تجيز ذلك ولا تحظره فمن المعروف: "أن قطع النعوت أشهر في لسان العرب وهو باب واسع، فلا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب -أي كتاب سيبويه- ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وخفى عليهم أن السابقين الأولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل، كانوا أبعد همة في الغيرة على الإسلام من أن يتركوا في كتاب الله ثلمة يسدها من بعدهم، وخرقاً يرفوه من يلحق بهم"[6]، ثم إنه لا يصعب تخريج النصب الذى يقرأ به الجمهور على المدح، والتقدير: أي: أمدح وأقدر المقيمين الصلاة[7].

وعليه قول الخورنق:

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر

النازلون بكل معترك والطيبين معاقد الأزر

فنصبت الطيبين على المدح فكأنها قالت أعنى الطيبين[8].

---

(١) من الآية (٦٣) سورة طه.
(٢) من الآية (١٦٢) سورة النساء.
(٣) من الآية (٦٩) سورة المائدة.
(٤) ينظر: المقنع للداني: ١٢١-١٢٢.
(٥) العلل ومعرفة الرجال بن حنبل: ٢٤١/١، وتهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: ١٣٨/٩-١٣٩.
(٦) البحر: ٣٩٥/٣-٣٩٦ بتصرف.
(٧) المواهب الفتحية للشيخ: حمزة فتح الله ٨٢/٢.
(٨) راجع: الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ٢٧٦.

وثالثها: أن قراءة (والصابئون) بالواو موافقة للغة تماماً فالنحويون يقررون أنها مرفوعة على الابتداء والخبر محذوف، والنية به التأخير عما في حيز (إن)، من اسمها وخبرها كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا...والصابئون حكمهم كذلك، وعليها قول الشاعر:

وإلا فاعلموا أنا وأنتم بغاة ما بقينا في شقاق

كأنه قال: بغاة ما بقينا وأنتم[1].

ورابعها: أن قوله: (إن هذان لساحران) فيه أوجه كثيرة منها: أنه جائز على لغة من يلزم المثنى الألف مطلقاً وهي لغة مشهورة لكنانة، وقيل لغة بلحارث بن كعب يقولون: مررت برجلان، وقبضت درهمان وجلست بين يداه وعليها قول الشاعر:

واها لسلمى ثم واها واها يا ليت عيناها لنا وفاها

وموضع الخلخال من رجلاها بثمن يرضى به أباها

إن أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها[2]

وكذا قوله:

تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابي التراب عقيم[3]

ومنها: أن اسم إن ضمير الشأن محذوفاً، إلا أن ساحران خبر مبتدأ محذوف والتقدير لهما ساحران.

ومنها أيضاً: أن اسم إن ضمير الشأن محذوفاً، والجملة مبتدأ وخبر خبر إن.

ومنها أيضاً: أن (إن) هنا بمعنى نعم: أي نعم هذان ساحران[4].

وغير ذلك من التخريجات اللغوية التي أوردها النحاة لتأكيد صحة هذه القراءة.

إلا أن الداني الذي أورد الرواية استبعد على السيدة عائشة ذلك يقول: ".... وذلك أن عروة لم يسأل عائشة فيه عن حروف الرسم الذي تزاد فيه لمعنى وتنقص منها لآخر تأكيداً للبيان وطلباً للخفة، وإنما سألها فيه عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله عز وجل لنبيه عليه السلام ولأمته في القراءة بها واللزوم على ما شاءت منها تيسيراً لها، وتوسعه عليها، وما هذا سبيله وتلك حاله فعن اللحن والخطأ والوهم والزلل بمعزل لفشوه في اللغة ووضوحه في قياس العربية.

وإذا كان الأمر في ذلك كذلك فليس ما قصدته فيه بداخل في معنى المرسوم، ولا هو من سببه في شيء، وإنما سمى عروة ذلك لحناً، وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتساع

(١) الكتاب لسيبويه: ٢٩٠/١، رسم المصحف د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبى: ١١٠.
(٢) ينظر: الإنصاف ١٨/١، مغني اللبيب ١٢٢/١، ٢١٦، خزانة الأدب ٤٥٥/٧
(٣) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ١٢٨/٣، اللسان (هـ.ب.ا) مشكل إعراب القرآن ٤٦٦/٢، شذور الذهب ٤٧.
(٤) ينظر: الجنى الداني للمرادي: ١٣٣، الخصائص لابن جنى ١٨/٢، مجاز القرآن لأبى عبيد ٢١/٢، معاني القرآن للزجاج ٣٦٢/٣، شرح المفصل ٢٨/٣ والموضح ٨٣٦/٢ – ٨٣٨. مغني اللبيب ٢٠٦ /٦٥.

في الإخبار، وطريق المجاز في العبارة إذا كان ذلك مخالفاً لمذهبهما وخارجاً عن اختيارهما، وكان الأوجه والأولى عندهما، والأكثر والأفشى لديهما لا على وجه الحقيقة والتحصيل فالقطع لما بيناه من قبل من جواز ذلك وفشوه في اللغة واستعمال مثله في قياس العربية مع انعقاد الإجماع على تلاوته كذلك دون ما ذهبا إليه....

على أن السيدة أم المؤمنين –رضي الله عنها– مع عظيم محلها، وجليل قدرها، واتساع علمها ومعرفتها بلغة قومها لحنت الصحابة وخطأت الكتبة وموضعهم في الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذى لا يجهل ولا ينكر، هذا ما لا يسوغ ولا يجوز، وقد تأول بعض علمائنا قول أم المؤمنين: **أخطأوا في الكتاب:** أي أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه لا أن الذين كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز، لأن مالا يجوز مردود بإجماع وإن طالت مدة وقوعه وعظم قدر موقعه، وتأول اللحن أنه القراءة واللغة كقول عمر رضي الله عنه: أبى أقرأنا وإنا لندع بعض لحنه أي قراءته"(١).

ب– أورد الطبري في جامعه: عن أبى، وابن عباس، وسعيد بن جبير، فيما ادعت بعض الروايات "أن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾(٢) أصلها (حتى تستأذنوا) ولكن وقع خطأ أو وهم من الكاتب"(٣).

يا للعجب!!! كأن الكاتب لا يراعى أبسط قواعد الكتابة؟ ولكنها الروايات الملفقة التي تحاول النيل من هذا الدين الحنيف. ولكن هيهات!

هذه الرواية المذكورة عقب عليها الطبري نفسه بقوله: "وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره، فإن مصاحف الإسلام كلها قد ثبت فيها "حتى تستأنسوا" وصح الإجماع منها من لدن مدة عثمان، فهي التي لا يجوز خلافها، وإطلاق الخطأ والوهم على الكاتب في لفظ أجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس، وقد قال الله عز وجل: ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٥)".

وأورد القرطبي في جامعه قريباً من ذلك وحجته وجودها في جميع المصاحف أيضاً(٦).

وذهب أبو حيان إلى أن هذا إلحاد في الدين يقول: "من روى عن ابن عباس أنه قال ذلك فهو طاعن في الإسلام، ملحد في الدين، وابن عباس برئ عن هذا القول"(٧).

(١) نقلاً عن: المقنع للداني: ١٢١-١٢٢.
(٢) الآية (٢٧) سورة النور.
(٣) جامع البيان للطبري: ٢١٣/٢-٢١٤.
(٤) الآية (٤٢) سورة فصلت.
(٥) الآية (٩) من سورة الحجر وينظر: جامع البيان: ٢١٣/٢.
(٦) الجامع لأحكام القرآن: ٢١٤/١٢.
(٧) في البحر: ٤٤٥/٦.

ومما ينفى هذا القول عن ابن عباس وغيره أن "تستأنسوا" متمكنة في المعنى، بينة الوجه في كلام العرب، وقد قال عمر للنبى – صلى الله عليه وسلم –: **أستأنس يا رسول الله؟** وعمر واقف على الباب، وذلك يقتضى أنه طالب الأنس به – صلى الله عليه وسلم – فكيف يخطئ ابن عباس رسول الله في مثل هذا؟[١].

وفات هؤلاء أن الأصل في نقل القرآن الكريم هو الرواية والتلقي عن الشيوخ بالنقل الصحيح المتواتر ولم تكن الكتابة مصدراً من مصادر هذا النقل الذي تحرى فيه العلماء أدق الوجوه.

يقول الدكتور/ لبيب السعيد: "وعندي أن أقوى ما يدحض هذه الرواية وأمثالها هو ما أشرت إليه قبلاً من أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب، ولم تكن من الكتابة في المقام الأول وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقي الشفوي المتواتر وهو خالٍ هنا من ذلك الاختلاف المزعوم"[٢].

جـ– زعموا أن ابن عباس قرأ: **(**أفلم يتبين الذين كفروا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعاً**)** فقيل إنها في المصحف "أفلم ييأس الذين آمنوا" فأجاب: **أظن الكاتب كتبها وهو ناعس**[٣].

وأورد الرازي في تفسيره ما نسب إلى علي وابن عباس رضي الله عنهما من أنهما كانا يقرآن "أفلم يأس الذين آمنوا" فقيل لابن عباس: "أفلم ييأس" فقال: **أظن أن الكاتب كتبها وهو ناعس:** إنه كان في الخط "**يأس**" فزاد **الكاتب سنة واحدة** فصار "**ييأس**" فقرئ "**ييأس**"[٤].

وهذه الشبهة تنطوي على خطر عظيم إذ إنها تهدم القرآن هدماً كاملاً وتجعله محل تحريف وتصحيف.

ويعلق الرازي على هذه الرواية قائلاً: "وهذا القول بعيد جداً لأنه يقتضى كون القرآن محلاً للتحريف والتصحيف، وذلك يخرجه عن كونه حجة"[٥]، هذا ونحن مما لا يصدق في كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ذلك، وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتاً بين دفتي الإمام، وكان متقلباً بين أيدى أولئك الأعلام المحتاطين في دين الله، المهتمين به لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصاً عن القانون الذى إليه المرجع، والقاعدة التي عليها البناء؟

هذا والله فرية ما فيها مرية[٦]!!!!

وقد وصف أبو حيان قائل هذا بأنه زنديق ملحد[٧]، افترى على الصحابة وعلى ابن عباس ما هم منه براء ونسب إليهم ما لم يقولوه ولم يعرفوه، كيف وهم المتقنون لفنون القول، وهذه المسألة

(١) جامع البيان: ٢١٤/٢.
(٢) في: الجمع الصوتي: ٣٣٨.
(٣) الإتقان للسيوطي: ١٨٥/١.
(٤) في: مفاتيح الغيب: ٥٣/١٩.
(٥) السابق.
(٦) من كلام الزمخشري في: الكشاف: ٤٠٩/١ .
(٧) في البحر: ٣٩٣/٥ .

خاصة قد وقع فيها سؤال من نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر لابن عباس تؤكد أنه كان يقرأها كما هي في المصحف.

ففي الإتقان: "... بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، فقال نافع بن الأزرق لنجدة بن عويمر: قم بنا إلى هذا الذى يجترئ على تفسير القرآن بما علم له به فقاما إليه فقالا: إنا نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا وتأتينا بمصادقة من كلام العرب فإن الله تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فقال ابن عباس: سلاني عما بدا لكما، فساق نافع مسائل كثيرة منها: قال نافع: أخبرني عن قوله تعالى: (أفلم ييأس الذين أمنوا)، قال: أفلم يعلم بلغة بنى مالك، قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت مالك بن عوف يقول: لقد يأس الأقوام أني أنا ابنه... وإن كنت عن أرض العشيرة نائياً[١]

تلك الرواية الموثقة التي تؤكد أن سيدنا عبد الله بن عباس كان يعلم أنها ييأس تنفى ما ورى عنه من أن الكاتب زاد سنة وهو ناعس أو سوى أسنان السين كما يقولون، مما يؤكد أن هذه الرواية مزيفة أصلاً لغرض مسموم.

د- ومن ذلك ما نسب إلى بن عباس أيضاً في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾[٢] أنه قال هي **خطأ من الكاتب** هو أعظم من أن يكون نوره مثل نور المشكاة إنما هي "مثل نور المؤمن كمشكاة"[٣].

وهذه الرواية كسابقتها في التزييف والتزوير لأن نسق الآية لا يفيد أن المقصود بالتشبيه هو نور المؤمن لأن ما قبلها ذكر المشبه وهو لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقد أجاب بعض العلماء عن هذا وأمثاله بأن المراد هو أن الكتاب أخطأوا في الاختيار وما هو الأولى لجمع الناس عليه من الأحرف السبعة، لا أن الذي كتب خطأ خارج عن القرآن[٤]، وهذه العلة يقول عنها د/لبيب السعيد بأنها إجابة متهافتة لا تكشف تماماً عن وجه الحق فالكتاب لم يكتبوا إلا ما تواتر، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة وكان عملهم على ملأ من المسلمين وكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين[٥].

هـ- ومن أغرب تلك الشبه ما نسب إلى ابن عباس أيضاً من أنه كان يقول، في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾[٦]، إنما هي: (ووصى ربك)، **التزقت الواو بالصاد**[٧].

---

(١) ينظر للسيوطي ١٥٨/١ ط دار المعرفة.
(٢) الآية (٣٥) سورة النور.
(٣) الإتقان: ١٨٥/١.
(٤) السابق.
(٥) الجمع الصوتي ٣٣٩.
(٦) الآية (٢٣) سورة الإسراء.
(٧) الإتقان: ١٨٤/١.

وروي عنه أيضـــا بلفظ: "اســـتمد الكاتب مداداً كثيراً، **فالتزقت الواو بالصـــاد**". وقيل إنها في مصحف ابن مسعود ووصى، وهكذا عند علي وعند أبى بن كعب[١]، وعزوا أيضاً إلى الضحاك أنه قال: تصحفت على قوم (وصى) بـ (قضى) حين اختلطت الواو بالصاد **وقت كتب المصحف**[٢].

وقد رد الرازي تلك الأقوال جميعها خوفاً من فتح باب التحريف والتصحيف في القرآن.

فقال: "واعلم أن هذا القول بعيد جداً لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جاوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولاشـــك أنه طعن عظيم في الدين"[٣].

ثم إنه "كيف يصـح تفريط الصـحابة الكرام في ضـبط القرآن العظيم، وإهمالهم في حفظ الفرقان الكريم حتى ينسوه فلا يعرفه إلا الواحد والاثنان من الأطراف وحتى لا يوجد إلا في الأكتاف واللخاف، هذا مع شدتهم في طلب أمر الدين وبذلهم الأموال والأشباح والأرواح من مقام اليقين[٤].

على أن الصحابة كانت لهم اليد الطولي في الاهتمام التام لتحقيق القرآن في الصدر الأول من الإســلام، وهل هذه الآية لم يحفظها أحد حتى صـــحفت وقرئت وقضـــى بدل وصـــى مع أن الأمر محكوم بالنقل الشفاهي طبقة عن طبقة إلى منتهاه.

اللهم إن هذا لهو الزيف الحق والضلال المبين.

ومن ذلك أيضـاً ما ادعاه بعض غلاة الشـيعة من أن علياً جمع القرآن، وجاء به إلى المهاجرين والأنصار فلما فتحه أبو بكر "خرج في أول صفحة فتحها **فضائح القوم**، فوثب عمر، وقال: يا على! اردده فلا حاجة فيه"، وأن عمر طلب من زيد ابن ثابت أن يسقط من القرآن هذه الفضائح، وأن عمر لما اســـتخلف ســـأل عليا أن يدفع إليهم القرآن فيحرفوه فيما بينهم فأبى علي وقال: **إن القرآن الذي عندي لا يمسه إلا المطهرون والأوصياء من ولدي، فسأله عمر: فهل وقت لإظهاره معلوم؟ فأجاب على: إذا قام القائم من ولدي يظهره ويحمل الناس عليه فتجرى ألســـنة به**"[٥]، وهذه الرواية مدعاة باطلة والوضع ظاهر فيها من وجوه كثيرة:

١- فالقرآن عاتب النبي صلى الله عليه وسلم نفسه غير مره، ولم يخف في كلامه عن بعض الأنبياء الآخرين ما لم يحمده لهم، وقد بقي هذا فيه يحفظه المســـلمون أبدا الدهر، فهل المهاجرون والأنصـار أعز على المسلمين من الأنبياء فضـلاً عن النبي سيدنا محمد الذي أحبوه أشد الحب، وافتدوه أخلص الافتداء؟

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٣٧/١، الإتقان: ١٨٤/١.
(٢) التعليق السابق بتمامه.
(٣) في مفاتيح الغيب: ١٨٤/٢.
(٤) شرح العقيلة ورقة ١٦ نقلاً عن الجمع الصوتي: ٣٣٥.
(٥) ينظر: الصافي في تفسير كلام الله الوافي، للفيض محمد بن مرتضى الكاشاني ٩-١٠.

٢-وأشياء نزل بها الوحي، وبلغها النبي صلى الله عليه وسلم كيف لم يحفظها من المسلمين جميعهم غير علي؟

أيكون النبي قد اقتصر في إبلاغ بعض الوحي على علي رضي الله عنه وحده؟ ولكن كيف؟ والنبي صلى الله عليه وسلم مرسل للناس كافة وقد أدى الأمانة وبلغ الرسالة فيما يؤمن به كل المسلمين، وليس من الأمانة أبداً أن يحبس عن الناس ما نزل به الوحي ويؤثر به شخصاً واحداً.

على أنه ورد في صحيح الحديث[١] "عن عائشة قالت: **من حدثك أن محمداً صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً من الوحي فلا تصدقه؛ إن الله تعالى يقول:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾"[٢].

وكيف غابت هذه الأشياء حتى عن أقرب الصحابة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم من مثل أبي بكر صديقه الأول، وأول من آمن به من الرجال، وثاني اثنين إذ هما في الغار، والذي ضحى ما ضحى في سبيل الرسول، وفى سبيل دعوته، والذي زوجه ابنته، والذي اختاره النبي ليؤم المسلمين -مكانه- في الصلاة، في مرضه الأخير. فاعتبروا ذلك إشارة إلى أحقيته بالخلافة بعده.

كيف غابت حتى عن أبي بكر وهو الذى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: **(إن من أَمَنَ الناس على في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذا خليلاً من أمتى لاتخذت أبا بكر خليلاً)**[٣].

كيف غاب شيء من القرآن حتى عن أبي بكر فلم يعرفه إلا من المصحف المزعوم حين خرجت بالصدفة "**فضائح القوم**" في أول صفحة فتحها.

كيف وهؤلاء القوم هم أتباع النبي، وجنوده، وأحبابه يعايشهم ويعايشونه في مجتمع لم تكن امتدت أطرافه.

٣- وهذه الرواية -إذ تنسب إلى سيدنا عمر أنه رفض قرآناً، وزور ما دعي قرآناً - ترمى عمر بالكفر الصريح، وهو ما تنقصه سيرة عمر الذي كان سماعه القرآن سبب دخوله المفاجئ في الإسلام.

٤- وتوقيت ظهور القرآن بالشكل المزعوم "**إذا قام القائم من ولد على**" قول فيه الغلو في التشيع على أوضح نحو.

ثم لماذا لم يظهر القرآن على يد علي- رضي الله عنه - نفسه حين تولى الخلافة؟

وهل كان ضرورياً أن يدع التزوير قائماً بينما يظهر في المستقبل المجهول حاكم من ولده؟

وإذا لم يبادر علي -في خلافته- إلى تصحيح خطأ رآه هو نفسه في كتاب الإسلام، فأي شيء كان أحق عنده بالمبادرة[٤].

---

(١) الحديث في: صحيح البخاري -كتاب التوحيد- باب: قول الله تعالى "يا أيها الرسول بلغ...": ٧٥٣١.

(٢) الآية (٦٧) سورة المائدة.

(٣) ينظر: صحيح البخارى، كتاب الصلاة، باب الخوخة: ٤٦٦، ٤٦٧، كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى ٣٩٠٤، صحيح مسلم كتاب المساجد ٢٣، كتاب فضائل الصحابة ٢-٧.

(٤) ينظر: شرح العقيلة: على بن سلطان القارى، ورقة ٦.

ثم لماذا لم يقرئ على أهل بيته بالشكل المزعوم وهو على ذلك – لو شاء– قدير[١].

والشـيعة طوائف منهم المغالون ومنهم المعتدلون، فالمغالون منهم –وهم الذين قالوا بهذا الكلام– قد خرجوا بما قالوا عن الإسلام وهم طوائف:

أشدهم غلواً: يقولون بإلهية علي بن أبى طالب وإلهية جماعة معه.

وأقلهم غلواً: يقولون: إن الشمس ردت على علي بن أبي طالب مرتين.

فقوم هذا أقل مراتبهم في الكذب، أيستبشع منهم كذب يأتون به؟

وكل دعوى بلا برهان فليس يستدل بها عاقل، سواء كانت له أو عليه[٢].

أما المعتدلون منهم فقد برئت ساحتهم –تماماً– من تلك الشبهة.

من ذلك ما قاله الطبرسـي (الشـيعي): "إن العلم بصـحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان، والحوادث العظام، والكتب المشهورة، وأشعار العرب، فإن العناية اشتدت، والدواعي توفرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم تبلغه فيما ذكرناه، لأن القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشـرعية، والأحكام الدينية، وعلماء المسـلمين قد بلغوا –في حفظه وحمايته– الغاية، حتى عرفوا كل شـيء اختلف فيه، من إعرابه، وقراءاته، وحروفه وآياته فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصـاً مع العناية الصـادقة والضبط الشديد"[٣].

وقال أبو جعفر الطوسي (شيعي): "وأما الكلام في زيادته ونقصانه فمما لا يلـق بـه أيضاً، لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان فيه فالظاهر أيضاً خلافه"[٤].

وكذلك في: نقض الوشـيعة: "أما الزيادة في القرآن، فمجمع على بطلانها، وأما النقصـان فروى جماعة من أصـحابنا وقوم من حشـوية العامة أن في القرآن نقصـاناً، والصـحيح –من مذهب أصـحابنا– خلافه وهو الذى نصـره المرتضـى والصـحيح أن القرآن محفوظ عن ذلك –أي عن التحريف– زيادة كان أو نقصاناً ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾"[٥].

ويقول: هادى الحسيني الملاني: "لم يطرأ على القرآن –بأي شكل– أي اختلاف في الترتيب، أو أي حذف أو أية إضـافة، وكل جدال حول التحريف هو زائف، وصـفر من الحقيقة. إن القرآن هو المعجزة الأبدية للنبي الكريم وقد أخذ الله –سـبحانه– على نفسـه ﴿جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ﴾ وقال: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ وقال عنه ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾"[٦].

تلك كانت دفوع تلك الشـبه الخطيرة التي تهدم أسـاسـيات الجمع القرآني لتذهب ثانياً إلى الطعن في صحة كتاب الإسلام الخالد وصولاً إلى الطعن في الإسلام. والله متم نوره ولو كره الكافرون.

(١) راجع فيما سبق جميعه: الجمع الصوتي د/لبيب السعيد: ٣٥٢-٣٥٤.
(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٧٨/٢ بتصرف.
(٣) في: مجمع البيان لعلوم القرآن ١٨/١.
(٤) في: البيان في تفسير القرآن ٣/١.
(٥) نقض الوشيعة في نقد عقائد الشيعة: ١٩٨.
(٦) راجع فيما سبق: الجمع الصوتي للقرآن د/ لبيب السعيد ٣٥٧ وما قبلها.

المبحث الثالث: جمع القرآن حسب الرغبة والتشهي:

ومن الشبه التي أثاروها أيضاً ما يظن منه أن القرآن إنما قرئ **بالتشهي والرغبة**، من ذلك ما يروى من: "أن أبا خلف مولى بنى جمح دخل مع عبيد بن عمير على عائشة فقال: جئت أسألك عن آية في كتاب الله تعالى، كيف كان رسول الله يقرؤها؟ قالت: أية آية؟

قال: (والذين يأتون ما أتوا) أو ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟﴾[1]،

قالت: أيتهما أحب إليك؟

قال: والذي نفسي بيده، لإحداهما أحب إليَ من الدنيا جميعاً،

قالت: أيهما؟

قال: الذين يأتون ما أتوا،

فقالت: أشهد أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –كذاك كان يقرؤها، وكذلك أنزلت، ولكن الهجاء جيم أم حاء[2]".

يقول د/ لبيب السعيد "والاستخفاف بالتواتر في هذه الرواية واضح، وكأنما كانت عائشة – رضي الله عنها – فيما يوحى به أسلوب هذه الرواية المنكرة تبتغى فحسب مرضاة سائلها، فأحب القراءتين إليه هي قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرها تحريف في الهجاء.

ثم إن أم المؤمنين المنسوب إليها هذا الطعن في هجاء المصحف بغير دليل، ورد أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: **أهو الذى يزنى ويسرق وهو على ذلك يخاف الله تعالى؟ فقال عليه الصلاة والسلام –لا يا ابنة الصديق؟ ولكن هو الرجل: يصلى، ويصوم، ويتصدق وهو على ذلك يخاف الله تعالى**[3].

فهي على خلاف ما في الرواية تقرأ الآية على النحو الذي قرأ به المسلمون منذ عهد النبوة، والذي أجمع عليه الصحابة فيما بعد عند كتابة المصحف العثماني.

وقيل إن ابن عباس، والنخعي قرأ: "والذين يأتون ما أتوا" مقصوراً من الإتيان، وبرر الفراء هذه القراءة فقال: لو صحت هذه القراءة لم تخالف قراءة الجماعة لأن الهمز يلزم فيه الألف في كل الحالات إذا كتب فتكتب (سئل الرجل) بألف بعد السين، و(يستهزؤن) بألف بين الزاي والواو، و(شيء) بألف بعد الياء فيحتمل هذا اللفظ –بالبناء على هذا الخط– قراءتين.... وأظن أن الفراء تكلف في دفاعه، وكان حسبه أن يرى ما في الرواية من دلائل الوهن، وأن يعلم أن عائشة قرأتها كما يقرؤها سائر المسلمين، ومن ثم فالخلاف غير ذي موضوع[4].

---

(١) الآية (٦٠) سورة المؤمنون.
(٢) ينظر: الإتقان ١٨٤/١.
(٣) مفاتيح الغيب: ١٠٧/٢٣، القرطبي: ١٣٢/١٢.
(٤) في: الجمع الصوتي له: ٣٣٧.

و- ومن تلك الشبه بل لعله أهمها ما نسب إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ففي المقنع: "أن المصاحف لما نسخت عرضت عليه -أي سيدنا عثمان- فوجد فيها حروفاً من اللحن فقال: **اتركوها فإن العرب ستقيمها، أو ستعربها بلسانها**"[1]، زاد: **"لو كان الكاتب من ثقيف، والمملى من هذيل لم توجد هذه الحروف"**[2].

وظاهر هذا يدل على أن خطأ حدث في الرسم المصحفي، وأمر سيدنا عثمان بتركه ليصلحه من يأتي بعده من العرب يوماً ما.

وقد فند الداني ذلك بقول: "قلت هذا الخبر عندنا لا يقوم بمثله حجة، ولا يصح به دليل من جهتين: إحداهما: أنه مع تخليط في إسناده واضطراب في ألفاظه مرسل، لأن ابن يعمر وعكرمة لم يسمعا من عثمان شيئاً ولا رأياه، وأيضاً فإن ظاهر ألفاظه ينفى وروده عن عثمان رضي الله عنه لما فيه من الطعن عليه مع محله من الدين، ومكانه من الإسلام، وشدة اجتهاده في بذل النصيحة، واهتبا له فيما فيه الصلاح للأمة فغير متمكن أن يتولى لهم جمع المصحف مع سائر الصحابة الأخيار الاتقياء الأبرار نظراً لهم ليرتفع الاختلاف في القرآن بينهم ثم يترك لهم فيه مع ذلك لحناً وخطأ يتولى تغييره من يأتي بعده ممن لاشك أنه لا يدرك مداه، ولا يبلغ غايته، ولا غاية من شاهده، هذا ما لا يجوز لقائل أن يقوله، ولا يحل لأحد أن يعتقده"[3].

ويقول الآلوسي: "... وأما قول عثمان: أن في القرآن لحناً.... الخ فهو مشكل جداً إذ كيف يظن بالصحابة أولاً: اللحن في الكلام فضلاً عن القرآن وهم من هم؟ ثم كيف يظن بهم ثانياً: اجتماعهم على الخطأ وكتابته، ثم كيف يظن بهم ثالثاً عدم التنبه والرجوع، ثم كيف يظن بعثمان عدم تغييره وكيف يتركه لتقيمه العرب، وإذا كان الذين تولوا جمعه لم يقيموه وهم الخيار فكيف يقيمه غيرهم؟ فلعمرى إن هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة فالحق إن ذلك لا يصح عن عثمان، والخبر ضعيف مضطرب منقطع"[4] اهـ.

وكلام الألوسي قريب جداً مما ذكره السيوطي ومما جاء فيه "إنه لم يكتب مصحفاً واحداً بل كتب عدة مصاحف: فإن قيل: إن اللحن وقع في جميعها، فبعيدٌ اتفاقهم على ذلك، أو بعضها، فهو اعتراف بصحة البعض، ولم يذكر أحدٌ من الناس أن اللحن كان في مصحف دون مصحف، ولم تأت المصاحف قط مختلفة إلا فيما هو من وجوه القراءة، وليس ذلك بلحن.

وعلى تقدير صحة الرواية فذلك محمول على الرمز والإشارة، ومواضع الحذف نحو (الكتاب، والصابرين) وما أشبه ذلك.

وأيضاً فذلك مؤول على أشياء خالف لفظها رسمها، كما كتبوا: (لا أوضعوا)، و(لا أذبحنه) وأشباه ذلك مما لو قرئ بظاهر الخط لكان لحناً"[5].

---

(١) لأبى عمرو الداني: ١١٩.
(٢) السابق وقارن بـ: الإتقان ١٨٣/١.
(٣) في: المقنع: ١١٩.
(٤) في: روح المعاني: ٥٤/١.
(٥) الإتقان للسيوطي: ١٨٣/١.

ووجه ذلك كما يقول الداني أنه "لو تلاه تال لا معرفة له بحقيقة الرسم على حال صورته في الخط لصير الإيجاب نفياً، ولزاد في اللفظ ما ليس فيه ولا من أصله فأتى من اللحن بما لا خفاء به على من سمعه مع كون رسم ذلك جائزاً مستعملاً فأعلم عثمان رضي الله عنه إذ وقف على ذلك، أن من فاته تمييز ذلك، وعزبت معرفته عنه ممن يأتي بعده سيأخذ ذلك عن العرب إذ هم الذين نزل القرآن بلغتهم فيعرفونه بحقيقة تلاوته، ويدلونه على صواب رسمه"(١).

ومما يؤكد على عناية سيدنا عثمان – رضي الله عنه – بالمراجعة والتدقيق وأنه لم يترك شيئاً إلا وتابعه ما يلي:

"يقول عبد الله بن هانئ مولى سيدنا عثمان: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبي كعب فيها "**لم يتسن**" وفيها "**لا تبديل للخلق**" وفيها "**فأمهل الكافرين**" قال: فدعا بالدواة، فمحا أحد اللامين فكتب "**لخلق الله**"، وكتب "**فمهل**" وكتب "**لم يتسنه**" ألحق فيها الهاء، قال ابن الأنباري فكيف يدعى عليه أنه رأى فساداً فأمضاه وهو يوقف على ما كتب، ويرفع إليه الخلاف الواقع عن الناسخين ليحكم بالحق ويلزمهم إثبات الصواب وتخليده؟"(٢).

هذا وقد علق الأستاذ الدكتور/ محمد حسن جبل على ما سبق بقوله: "بناءاً على افتراض صحة الرواية وافتراض أن كلمة لحن تعنى خطأ إنه لا عجب في غياب هذه الوجوه عن سيدنا عثمان فإن اللغة العربية عظيمة الاتساع في المذاهب أي صور التعبير وأساليب الكلام كما أنها أكثر اللغات ألفاظاً متاحة الاستعمال بحيث قد يذهب شيء من الألفاظ أو الأساليب على من هو من أهلها، يؤكده قول الشافعي "**ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي**" ثم قرر ما خلاصته أنه قد يند الشيء من اللغة عن بعض العرب لكن هذا الناد لابد أن يوجد العلم به عند آخرين"(٣).

أما عن الشق الآخر الوارد عن الداني في كلام سيدنا عثمان وهو قوله: "لو كان الكاتب من ثقيف والمملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف"، شرحه الداني بأن "معناه أي لم توجد فيه مرسومة بتلك الصور المبنية على المعاني دون الألفاظ المخالفة لذلك، إذ كانت قريش ومن وَلِيَ نسخ المصاحف من غيرها قد استعلموا ذلك في كثير من الكتابة وسلكوا فيها تلك الطريقة، ولم تكن ثقيف وهذيل مع فصاحتهما يستعملان ذلك، فلو أنهما وليتا من أمر المصاحف ما وليه من تقدم من المهاجرين والأنصار لرسمتا جميع تلك الحروف على حال استقرارها في اللفظ ووجودها في المنطق دون المعاني والوجوه، إذ ذلك هو المعهود عندهما والذى جرى عليه استعمالهما"(٤).

(١) المقنع: ١٢٠.
(٢) الإتقان ١٨٣/١ وقارن بـ الجمع الصوتي ٣٤٦ وما بعدها: ففيها اعتراض على تلك الرواية عن عبد الله بن هانئ.
(٣) في دفاع عن القرآن الكريم: ٨٨ وما بعدها (بتصرف).
(٤) المقنع: ١٢٠.

إن عمل عثمان – المتمثل في عدم إعادة النظر في رسم المصحف هو الذى– أتاح بفضل الله تعالى إبقاء هذا الرسم على ما هو عليه بخاتم عثمان إلى يومنا هذا، ولو أنه فتح باب مراجعة الرسم لظهرت عشرات الوجهات التي تقترح ما تظنه تصحيحات، ثم كان يمكن ألا يتم رسم نسخة معتمدة للمصحف أصلاً نتيجة للخلافات، ولو تم لصار سماح عثمان بالمراجعة سابقة يتكأ عليها لإعادة كتابة المصحف حسب الوجهات المختلفة في مجال النحو وفى مجال رسم المصحف وفى مجال القراءات، ولما وصل إلينا المصحف بصورته الموحدة التي كتب عليها أيام عثمان أبدا(١).

على أن هناك من فسر لفظ اللحن في كلام عثمان بأن المراد به اللهجة لا الخطأ.

ففي مناهل العرفان أن المراد بكلمة لحن القراءة واللغة وعليه فالمعنى "أن في القرآن ورسم المصحف وجهاً في القراءة لا تلين به ألسنة العرب جميعاً، ولكنها لا تلبس أن تلين به ألسنتهم جميعاً بالمران وكثرة تلاوة القرآن بهذا الوجه.

إن من المرجح أن عثمان رضي الله عنه إنما أراد بكلمة لحن في تعليقه ما يسمى لهجة أو سنة من السنن غير الشائعة في الكلام العربي، وأنه كان يفضل أن تكون كتابة المصحف بلغة قريش وهي اللغة العامة واللسان الجاري عند كل العرب.

ثم إن سكوت الصحابة – رضوان الله عليهم – وقد كان جمهورهم من العرب الخلص الذين يشعرون سليقياً بما يقع في الكلام من خطأ على رسم العبارات القرآنية، بما رسمت عليه في المصاحف التي اعتمد عثمان كلاً منها إماماً للقطر الإسلامي الذي أرسل إليه هو مرجح آخر قوى على أن المراد باللحن في تعليق عثمان هو اللهجة وما إليها، لأنه لو كانت هذه الصياغات خطأ ما سكتوا"(٢).

ز– ومنها أيضاً ما نسب إلى سيدنا علي بن أبى طالب كرم الله وجهه من أنه قال **رأيت كتاب الله يزاد فيه.**

ففي الإتقان "من طريق ابن سيرين قال: قال علي – رضي الله عنه –: لما مات رسول الله – صلى الله عليه وسلم– آليت ألا آخذ علىَّ ردائي إلا لصلاة جمعة حتى أجمع القرآن فجمعته.

وورد من طريق أخرى أخرجه ابن الضريس في فضائله: حدثنا بشر بن موسى، حدثنا هودة بن خليفة، حدثنا عون عن محمد بن سيرين عن عكرمة قال: **لما كان بعد بيعة أبى بكر قعد علي بن أبى طالب في بيته، فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك، فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي؟ قال لا والله، قال: ما أقعدك عني؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه فحدثت نفسى أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه. قال له أبو بكر فإنك نعم ما رأيت**"(٣).

(١) دفاع عن القرآن الكريم أ. د/ جبل، ٩٠ بتصرف.
(٢) بتصرف من دفاع عن القرآن ٩١-٩٢ أ.د/ جبل.
(٣) الإتقان للسيوطي ٧٧/١، المصاحف لابن أبى داود ١٠/١.

وهذه الرواية لا تصـــح؛ إذ أن بعض طرقها – وهو ما أخرجه أبو داود عن طريق ابن ســيرين ضعيف، وبعض طرقها وهو ما أخرجه غير واحد من رواية أبى حيان التوحيدي موضوع أصلاً، أما الذى صح– كرواية ابن الضريس في فضائل علي رضي الله عنه فمحمول على الجمع في الصدر –أي على الحفظ عن ظهر قلب– وقيل كان جمعاً بصـــورة أخرى لغرض آخر، ويؤيده أنه قد كتب فيه الناسخ والمنسوخ فهو ككتاب علم(١).

على أن السجستاني في المصاحف يقول: "لم يذكر لفظ المصحف في كلام علي رضي الله عنه أحدٌ، إلا أشعث وهو لين الحديث، وإنما قال: حتى أجمع القرآن، يعنى أتم حفظه"(٢).

ويقرر السيوطي أن هذا الكتاب –الذي جمعه علي رضي الله عنه– لا وجود له أصلاً فقد نقل أن ابن سيرين قال: "**تطلبت ذلك الكتاب، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه**"(٣).

على أن هذا يعارض ما ورد صحيحاً عن ارتضاء سيدنا علي رضي الله عنه لهذا الجمع فقد "أخرج بن أبى داود بسند صحيح عن سويد بن غفلة عنه: "**لا تقولوا في عثمان إلا خيراً فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا على ملاء منا**" وفي رواية "**لو وليت لعملت بالمصحف الذي عمله عثمان**"(٤).

وفي ارتضائه جمع أبى بكر يقول: "**أعظم الناس في المصاحف أجراً: أبو بكر رضي الله عنه رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع بين اللوحين**"(٥).

هذا مع أن الجمعين–البكري والعثماني– تاليان في تاريخهما لبيعة أبى بكر فالزيادة المزعوم أن علياً رآها لقيت –لو كانت وقعت– ما منعها منعاً(٦).

(١) روح المعاني ٤١/١-٤٢، المصاحف لابن أبي داود ١٠/١، الإتقان ٧٧/١.
(٢) ابن أبي داود ١٠/١، فضائل القرآن لابن كثير ٢٥.
(٣) الإتقان ٧٧/١، الجمع الصوتي: ٤١.
(٤) روح المعاني ٤١/١-٤٣، المصاحف ٥/١.
(٥) الإتقان ٨٠/١ وقارن بما ورد في التعليق السابق.
(٦) نقلاً عن: الجمع الصوتي: ٣٤٨.

المبحث الرابع: الشبه المتعلقة بعدد سور القرآن وترتيبها:

ومن تلك الشبه أيضاً ما يرجع إلى ترتيب سور القرآن الكريم حيث **اختلف الترتيب بين مصاحف الصحابة ومصحف عثمان وكذلك اختلف في عدد السور**

ففي الإتقان: "أما سوره فمائة وأربع عشرة سورة بإجماع من يعتد به، وقيل وثلاث عشرة بجعل الأنفال وبراءة سورة واحدة، وفى مصحف ابن مسعود مائة واثنتا عشرة سورة لأنه لم يكتب المعوذتين وفى مصحف أبي ست عشرة لأنه كتب في آخره سورتي الحفد والخلع"، وكذا اختلف في ترتيب السور(١).

كل هذه الاختلافات كانت مدعاة لطعن من يطعن في الإسلام، والصحيح من ذلك كله أن ترتيب القرآن ونظمه "ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا آخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب أي كل سورة، ومواضعها، وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة"(٢).

على أن ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي: "وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن أصحابه ويعلمهم ما نزل عليه من القرآن على الترتيب الذي هو الآن في مصاحفنا بتوقيف جبريل إياه على ذلك، وإعلامه عند نزول كل آية أن هذه الآية تكتب عقب آية كذا في سورة كذا، فثبت أن سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه، فإن القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ على هذا الترتيب"(٣).

والقرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته فبين جمله وآية وسورة تناسب بارع، وارتباط محكم، وائتلاف بديع ينتهي إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجماً على السنين والشهور والأيام(٤).

وقد لاقت هذه الشبهة رواجاً منذ القدم وللآن بين المستشرقين والعرب على السواء، فقد رتب **(تيودورنولدكه)** القرآن تبعاً لما رتبه أبو القاسم عمر بن محمد ابن عبد الكافي من رجال القرن الخامس(٥)، وغيره وفى الحديث ظهرت دعوة تطالب بترتيب سور القرآن، على حسب نزولها، من سورة العلق ثم المزمل ثم المدثر ثم الفاتحة، وهكذا حتى يختم بسورة النصر(٦).

---

(١) راجع: الإتقان ٨٦/١.
(٢) الانتصار للباقلاني ٦١.
(٣) نقلاً عن: الإتقان ٨٢/١
(٤) مناهل العرفان للزرقاني ٧٣
(٥) راجع: تاريخ القرآن للزنجاني ٧١.
(٦) تقدم بهذه الدعوة (يوسف راشد) بوزارة العدل في رسالة عنوانه (رتبوا القرآن كما أنزله الله)، ينظر: كنوز القرآن عددأكتوبر ونوفمبر ١٩٥١.

وتضـــمنت هذه الدعوى قولاً جريئاً خطيراً هو أن "ترتيب القرآن – في وضـــعه الحالي– يبلبل الأفكار، ويضـيع الفائدة المطلوبة من نزول القرآن، لأنه يخالف منهج التدرج التشـريعي الذي روعي في النزول، ويفسد نظام التسلسل الطبيعي للفكرة، لأن القارئ إذا تنقل من سورة مكية إلى سورة مدنية اصطدم صدمة عنيفة وانتقل –بدون تمهيد– إلى جو غريب غير الجو الذي كان فيه"(١).

هذا وقد كتب الدكتور/ محمد عبد الله دراز تقريراً عن تلك الدعوة رفعه إلى إدارة الأزهر كان فيه:

أ– إن ترتيب السور توقيفي، على ما يقرره جمهور العلماء ولم يخالف سني ولا شيعي في التزام هذا الوضع الذى كان عليه المصحف من أول يوم.

ب– وأن احترام قدسية الوضع المأثور يقضـى بالمحافظة على النسق القائم الآن في الآيات والسور جميعاً.

جـ– وأن تغيير الترتيب يفتح مجال الشبهة، أمام العصور المقبلة فيقول قائل منهم: إنه لم تبق لنا ثقة بأن هذا الكتاب بقى في كل العصـور، بعيداً عن كل تبديل، لأنه في عصـر ما غيرت أوضـاع السور فيه فلعله قد أصابته تعديلات أخرى لم تصل إلينا أنباؤها.

د– وأن هذه الدعوة خارقة لإجماع المسلمين، ويحرف بها الكلم عن مواضـعه التي وضـعه الله فيها، ولن يكون من ورائها إلا إفساد النسق وتشويه جماله(٢).

ومن ذلك ما يقوله بروكلمان في حديثه عن جمع عثمان – رضـــي الله عنه – : "إن زيداً رتب الســـور حســـب طولها وابتدأ بأطولها، بعد الفاتحة التي وضـــعها على رأس الســـور كلها وعلى هذا المنوال، جمع القرآن أيضـــا أبى بن كعب، والمقداد بن عمرو وعبد الله بن مســـعود، وأبو موســـى الأشعري"(٣).

وهذا الادعاء باطل شكلاً وموضوعاً لما أسلفنا قبل.

ومن تلك الشـــبه أيضـــاً: ما يقوله الميمونية من الخوارج العجاردة، على ما ذكره القلقشـــندي في صبح الأعشى "من أن سورة يوسف ليست من القرآن، وإنما هي قصة من القصص، ومن أدخلها في القرآن فقد زاد فيه ما ليس منه"(٤).

أمثل هذا يقال في القرآن ولكن الشـــيء من معدنه لا يســـتغرب أو كل إناء بما فيه ينضـــح كما يقولون فهذه الفرقة كما يقول الأشـعري: "زادوا على كفرهم في القدر نوعاً من الضـــلالات المجوسـية من حيث إباحة الزواج من بنات الأبناء والبنات، ومن بنات الإخوة والأخوات"(٥).

---

(١) راجع التعليق السابق.

(٢) أنظر نص التقرير الذى تقدم به الدكتور/ محمد عبد الله دراز –رحمه الله- إلى إدارة الأزهر في مجلة كنوز الفرقان التى كانت تصـدر عن الاتحاد العام للقراء برئاسـة الشـيخ على محمد الضـباع، عدد، أكتوبر ونوفمبر: ١٩٥١م، نقلاً عن: الجمع الصوتي: ٣٥٩-١٣٦٠.

(٣) في: تاريخ الأدب العربي ١٤٠/١ ترجمة د/ عبد الحليم النجار.

(٤) ينظر: صبح الأعشى ٢٢٣/١٣.

(٥) في مقالات الإسلاميين ١٦٤/١، وينظر: الفرق بين الفرق للإسفراييني ٢٤، ٩٦، ٢٨١.

وعليه فلا يستغرب عنهم إنكارهم لبعض القرآن، فهم بأقوالهم السابقة قد خرجوا من الإسلام أصلاً.

هذا إلى جانب قصـــر نظرهم في إعجاز القرآن في نظمه فهذه الســـورة هي: كباقي القرآن لغة وأسلوباً ومقاصد، وهي كباقي القرآن أيضاً تتحدى البلغاء أن يأتوا بمثلها فلا يستطيعون، وهي أيضاً كباقي القرآن ثابتة بالنقل الصحيح المتواتر(١).

ومن الشبه القادحة أيضاً –وهي خطيرة– ما قيل من أن **مصحفاً من مصاحف عثمان – رضي الله عنه – أدق من بقية المصاحف.**

ففي المصاحف لابن أبي داود منسوباً إلى إبراهيم النخعي أنه قال: "قال لي رجل من أهل الشام: **مصحفنا ومصحف أهل البصرة أضبط من مصحف أهل الكوفة**، قلت: لم؟ قال: لأن عثمان بعث إلى الكوفة –لما بلغه من اختلافهم– بمصحف قبل أن يعرض، وبقى مصحفنا ومصحف أهل البصرة حتى عرضا"(٢)

وكذلك ورد ما يستفاد منه، أن القراءات متفاوتة القدر كأنها ليست نقلاً خالصاً، وأن إحداها أحب إليهم من غيرها وأن لكل قراءة خصيصة مرجعها صاحب القراءة(٣).

ففي غاية النهاية روى ابن الجزري عن أبي العباس الطنافسي البغدادي أنه قال: "من أراد أحسن القراءات فعليه بقراءة أبى عمرو، ومن أراد الأصـل فعليه بقراءة ابن كثير، ومن أراد أفصـح القراءات فعليه بقراءة عاصـــم، ومن أراد أغرب القراءات فعليه بقراءة ابن عامر، ومن أراد الأثر فعليه بقراءة حمزة، ومن أراد أظرف القراءات فعليه بقراءة الكسائي، ومن أراد السنة فعليه بقراءة نافع"(٤).

وهذا خطأ جسـيم ما كان ينبغي لقائله أن يقوله، فلا شـك أن كون قراءة أحسـن من قراءة، وأن قراءة هي الأصـل وغيرها ليس أصـلاً، وأن قراءة أفصـح وأخرى فصـيحة، وقراءة غريبة وغيرها أقل غرابة، أو ليسـت غريبة، وقراءة هي الأثر، وما عداها ليس أثراً، وقراءة هي أظرف من قراءة، وقراءة هي السنة وغيرها أقل منها سنية، لاشك أن ذلك قول خطير.

ولم يسـلم من هذا الأئمة الأعلام في اللغة والقراءات من ذلك ما ذكره مكي بن أبي طالب ناهجاً نفس المنهج السابق في المفاضلة بين القراءات "وأصح القراءات سنداً: نافع وعاصم، وأفصحها: أبو عمرو والكسائي"(٥).

وقد وقع في كتب التفسير كثيراً من تلك العبارات التي توحى بالمفاضلة بين القراءات(٦).

---

(١) الجمع الصوتي: ٣٥٢ بتصرف.
(٢) ينظر: المصاحف للسجستانى ٣٥/٢، وراجع: فتح الباري لابن حجر ١٧/٩.
(٣) ينظر: معانى القرآن للفراء ١٤٣/١، وغيرها.
(٤) غاية النهاية ٧٥/١.
(٥) راجع قول مكى في الكشف باب السند.
(٦) من ذلك ما ذكره الطبري كثيراً في جامع البيان وغيره من المفسرين الذين لم تخلوا كتبهم من ذلك.

هذا ولو سلمنا –جدلاً– بصحة ذلك لكنا ممن يعمل الاجتهاد في القرآن، وهو ما لا يجوز فيه الاجتهاد، فالقراءات توقيفية، وليست اختيارية، وإلا وجد الشك والوهم سبيليهما إلى القرآن.

على أن علماءنا قد فرقوا بين الأمر في القراءات والكلام العادي.

فعن ثعلب أنه قال: "إذا اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت الأقوى"(١).

ويقول النحاس "السلامة عند أهل الدين –إذا صحت القراءتان– أن لا يقال: إحداهما أجود، لأنهما جميعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فيأثم من قال ذلك"(٢).

ومن المعلوم أن القراءة سنة متبعة وأن أئمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة أو الأقيس في العربية، والقراءة إذا صحت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة يلزم قبولها والمصير إليها(٣).

الخاتمة:

وبعد هذه المدافعة والنقض لتلك الشبه الواهية تخلص الدراسة إلى **نتائج** منها:

– أن الكتب السابقة جيء بها على التوقيت لا على التأبيد، وأن القرآن جيء به مصدقاً لما بين يديه من الكتب، ومهيمناً عليها، فكان جامعاً لما فيها من الحقائق الثابتة، زائداً عليها بما شاء الله زيادته وكان ساداً مسدها ولم يكن شيئاً منها ليسد مسده.

– والحق أن لهذا الجمع فضلاً كبيراً فقد تدارك –في وقت مبكر– كل الأصول التي كتب فيها القرآن وأفاد منها قبل أن يتفرق منها شيء، أو يضيع، أو تعدو عليه عوامل البِلَى.

– أن رواية القرآن لم تكن من الكتابة فحسب، ولم تكن من الكتابة في المقام الأول وإنما مصدرها الأول والأوثق هو التلقي الشفوي المتواتر.

– أن الكتاب لم يكتبوا إلا ما تواتر، وما استوفى شرائط ثبوت القرآنية وكانوا خاضعين لمناهج بالغة الدقة وكان عملهم على ملأ من المسلمين وكان الخطأ مأموناً على وجه اليقين.

– قد يند الشيء من اللغة عن بعض العرب لكن هذا الناد لابد أن يوجد العلم به عند آخرين.

– أن عمل عثمان –المتمثل في عدم إعادة النظر في رسم المصحف هو الذي– أتاح إبقاء هذا الرسم على ما هو عليه إلى يومنا هذا، ولو أنه فتح باب المراجعة لظهرت عشرات الوجهات التي تقترح ما تظنه تصحيحات، ثم كان يمكن ألا يتم رسم نسخة معتمدة للمصحف أصلاً نتيجة

(١) راجع السيوطي في الإتقان ٨٣/١.
(٢) السابق وقارن بـ: الجمع الصوتي د/ لبيب السعيد: ١٥٠.
(٣) عبارة الداني في جامع البيان ورقة ٦٥أ وعنه في النشر ١٠/١-١١

للخلافات، ولو تم لصار سماح عثمان بالمراجعة سابقة يتكأ عليها لإعادة كتابة المصحف حسب الوجهات المختلفة في مجال النحو، ورسم المصحف، والقراءات، ولما وصل إلينا المصحف بصورته التي كتب عليها أيام عثمان أبدا.

– أن ترتيب القرآن ونظمه ثابت على ما نظمه الله تعالى، ورتبه عليه رسوله من أي السور، لم يقدم من ذلك مؤخر، ولا آخر منه مقدم، وأن الأمة ضبطت عن النبي صلى الله عليه وسلم ترتيب آي كل سورة، ومواضعها، وعرفت مواقعها كما ضبطت عنه نفس القراءات وذات التلاوة.

– والقرآن كما أنه معجز بسبب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته فبين جمله وآياته وسوره تناسب بارع، وارتباط محكم، وائتلاف بديع ينتهى إلى حد الإعجاز خصوصاً إذا لاحظنا نزوله منجماً على السنين والشهور والأيام.

كما أنها توصي:

– من يتصدى لدرء الشبه ودفعها أن يتصف بالحيدة والتجرد والإنصاف حتى يصل إلى حكم صائب دقيق.

– برد كل الدعاوى التي تنادي بالتدخل في النص الموروث عن عمل الصحابة – رضوان الله عليهم – سواء بإعادة ترتيب سوره –حسب النزول – أو تعديل في رسمه ونظمه، أو غير ذلكم ما يثار من دعاوى.

والله خير حافظا.....

وصلى الله وسلم وبارك على سيد الخلق، وحبيب الحق، وآله وصحبه وسلم.

المراجـع:

الإبانة عن معانى القراءات، لمكي بن أبى طالب، تحقيق د/ عبد الفتاح شلبي، ط نهضة مصر، ١٩٦٠م.

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ط محمود توفيق ١٩٣٥م، وطبعة أخرى، ط دار عالم المعرفة بدون تاريخ.

الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، تصحيح السيد محمد الببلاوي، ط القاهرة، ١٣٣٢هـ–١٩١٤م.

إرشاد المريد إلى مقصود القصيد، للشيخ على محمد الضباع، القاهرة، ط صبيح ١٩٦١م.

إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط الحلبى ١٩٦١م.

الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لابن الأنباري، تحقيق الشيخ/ محمد محى الدين عبد الحميد، ط القاهرة، المكتبة التجارية ١٣٨٠هـ–١٩٦١م.

البحر المحيط في تفسير القرآن، لأبى حيان الأندلسي (٨ أجزاء)، ط السعادة ١٣٢٨هـ.
تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، ط جدة ١٣٦٥هـ.
تاريخ القرآن، د/عبد الصبور شاهين. مطبعة السعادة ١٩٩٥م
تفسير القرآن الحكيم، المشتهر باسم: تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا، ط المنار ١٣٥٣هـ.
تفسير القرآن المسمى بـ روح البيان، إسماعيل حقي البروسوي، ط بولاق ١٢٧٦هـ.
جامع البيان في تفسير القرآن، تفسير الطبري، طبعات مختلفة.
الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، ط دار الغد العربي.
الجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم، د/ لبيب السعيد، ط، دار المعارف.
رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، د/ عبد الفتاح شلبي، ط نهضة مصر، ١٩٦٠م.
روح المعاني في تفسير القرآن للألوسي، ط دار الفكر العربي، ١٩٩٧م.
الصافي في تفسير كلام الله الوافي (شيعي) للفيض محمد بن مرتضى الكاشاني، ط مهران ١٨٩٣م.
غاية الاختصار في قراءات العشرة أئمة الأمصار، للحافظ أبى العلاء الهمداني، تحقيق د/ أشرف طلعت، ط الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بجدة، ط أولى ١٩٩٤م.
غاية النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري، ط الخانجي ١٩٣٣م.
فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، المطبعة البهية ١٣٤٨هـ.
الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الظاهري، ط الخانجي ١٣٢٠هـ.
فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت لمحب الله بن عبد الشكور، ط بغداد ١٣٢٢هـ.
القراءات وأثرها في التفسير والأحكام، محمد بن عمر بن سالم بازمول، ط دار الهجرة، ط أولى ١٤١٧-١٩٩٦م.
كتاب العلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، نشره وعلق عليه طلعت قوج بيكيب، وإسماعيل جراح أوغلي، أنقرة ١٩٦٣م.
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، ط مصطفى محمد ١٣٠٨هـ.
كنز العرفان في فقه القرآن، جمال الدين السيوري تعليق محمد باقر شريف زادة، طهران، ط المرتضوية ١٣٨٤هـ.
لطائف الإشارات الفنون القراءات، للقسطلاني تحقيق د/ عبد الصبور شاهين، الشيخ عامر السيد عثمان، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
لطائف البيان في رسم القرآن، شرح مورد الظمآن للشيخ أحمد أبو زيتحار، ط الأزهر ١٩٥٣م.
المحكم في نقط المصاحف للداني، تحقيق د/عزة حسن، دمشق ١٣٧١هـ.

مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط دار المعارف ١٩٤٦م.
معانى القرآن، للفراء تحقيق أحمد يوســـف نجاتي، محمد على النجار، ط دار الكتب المصـــرية ١٩٥٥م.
المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار للداني تحقيق الشيخ/ محمد الصادق قمحاوي، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.
الملل والنحل، للشهرساني، تعليق د/ محمد بن فتح الله بدران، ط الأزهر ١٩٥١م.
منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري، تحقيق محمد حبيب الله الشنقيطي، أحمد محمد شاكر مكتبة القدسي ١٣٥٠هـ.
مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، ط الحلبى ١٣٦١هـ.
مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د/ شعبان صلاح، ط دار غريب بالقاهرة.
النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، القاهرة، ١٩٦٠م.
النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، طبعة دار الفكر.
نقض الوشيعة في نقد عقائد الشيعة، لموسى التركستاني، بيروت، ١٩٥١م.
النهاية لابن الأثير، تحقيق د/ محمود الطناحي، طاهر أحمد الزاوي، ط دار إحياء الكتب العربية ١٩٦٦م.